

## مراهقات

خالد العرامحي



قبل رمضان بفترة ليست بالبعيدة وقعت حكاية أغرب من الخيال؛ وأفظع من الكوارث؛ وأشنع ما يفعله الإنسان بنفسه؛ في تلك الأيام التي كنتُ أراجع فيها الطبيب لابني الصغيرة ذات العاشرن والتي تعاني من زكام والتهاب في الصدر، وأمر لها الطبيب بجرعات من الأكسجين تأخذها بين فترة وأخرى، أثناء ذلك حدثت رواية غريبة أجزم أن تفاصيلها قد مررت في إحدى القصص أو نقلت عبر إحدى القنوات بصوت الدموع ونظارات الخوف؛ في عيون أهلها واستعجال المسعفين ومشهد رجال الأمن الذين يبحثون عن سبب الواقعة وسط حيرة واستغراب واستنكار.

فتاة مراهقة لم تبلغ العقد الثاني من عمرها تحاول الانتحار، والسبب؟ خلاف تافه بينها وبين أخيها الصغير، مع ضحك أخيها الكبير عليهم، مما جعلها تحاول الانتحار وشرب الكلوركس (سائل غسيل)، تلك ولم تكون هي الحكاية الوحيدة التي مرت في ذلك الشهر على المستشفى، وقال أحدهم ذات مرة عندما رأى علامات التعب تعتملي تقاسيم وجهي والغضب مع الخوف ونظارات الاستغراب التي أصبحت تجوب المكان، همس في أذني: ليست الوحيدة يا خالد، ليست الوحيدة؛ فقبل أيام من هذا الشهر أتت حالة مشابهة لفتاة أخرى حاولت أن تنهي حياتها حين تناولت كعكة كبيرة من حبوب الدواء، أنت هنا؟ متأكد من هذا؟! مستديلاً. نعم متأكد يا خالد، وقطع اندھاشي بكاء الأم على ابنته وهي تقول: حسي الله على من زرع تلك الأفكار في عقول بناتنا حسي الله عليهم.

بقي المشهد عالقاً في ذهني لا يفارقني إلى هذا اليوم وإلى هذا الحد بلغ تأثير المشاهد للمسلسلات التركية والكورية التي لا يكاد يخلو مشهد من محاولة انتحار أو مرور لفظ انتحار في سياق أي خلاف ينشب بين ممثلين الأدوار في تلك المسلسلات؟! ما سبب هذا التهاون بأعلى ما يمتلك الإنسان وهي حياة لينهيها بهذا الشكل ألظيع؟

هل هو الفراغ العاطفي؟ أم ضعف الواقع الديني؟ أم العلاقات الاجتماعية الضعيفة التي أصبحت "أون لاين" فقط وعبر جروبات وهمية شاع فيها القص واللائق؟ أم التفكك الأسري وشيوخ الطلاق؟ أم غيرها؟ كل هذا لا يبرر شناعة الفعل وإيذاء الذات، وهو كبيرة من كبار الذنوب التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة» ويقول الله عز وجل في سورة النساء « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا ».»

هناك حلقة مفقودة في ذاك المشهد لم يستطع خيالي البسيط أن يبلغها ليقف على نقاط الخلل الذي يجب على المجتمع التنبه لها وحلها قبل أن تصبح ظاهرة يمارسها ضعفاء النفوس من المراهقين عند كل مشكلة؛ وخصوصاً في تلك البقعة التي أتت منها الحالتين.